

للقوافى الشعرية ، من ربط الصيغ وتكرار النماذج الصرفية والنحوية ، وضبط الإيقاع الداخلى للعبارة ، وهو لا يقل أهمية عن الإيقاع الموسيقى البارز الذى تقوم به القوافى الشعرية ، ومهما كانت هذه اللوازم مدينة بشكل ما لخاصية الإملاء الكتابى عند طه حسين مما يجعلها خطابا منطوقا فى الدرجة الأولى إلا هذا لا يضعف من خواصها الجمالية المتميزة .

٤ - ١ ولكى نقرب من بنية عبارة طه حسين الشعرية بوسعنا أن نطالعها فى مشهد المرأة ، وهو مشهد نموذجى فى هندسته وتصميمه وعلاقاته ، لا يتكرر كثيرا فى كتاباته بهذه الصورة المتتابعة المكثفة ، وإن كان يوجز فى سطور قليلة أنساق الصياغة عنده ، إذ يقول فى الفقرة ذاتها : - " أمد عينى إلى المرأة وأثبتها فى أديمها الصافى الصقيل حينما فتعود إلى بصورة إلا تكن رائعة بارعة ، فانها لا تخلو من رواء ونضرة وحسن تنسيق ، ومالى أسأل عن صورة هذه المرأة الجامدة الهامدة التى لا تحس شيئا ولا تشعر بشيء ولا تعرب عن شيء ، وإنى لأرى صورتى مرات ومرات فى غير مرآة من هذه المرايا الحساسة الشاعرة البليغة ، التى تحسن الإفصاح عما فى النفوس وهى العيون " .

ومهما غالبنا شعور الإشفاق والإعجاب والحب لطفه حسين وهو يصف مرآة العيون ، بشعرية وبلاغة نعجز عن مجاراتهما ، فخير لنا أن ننتبه إلى هذا التقابل الذى يقيمه بين المرأتين : الزجاجية والبشرية ، وأن نبتهج بانتصار المرأة الحية عنده مهما كانت أئمة وشهوانية ، وأن نتمثل صنيعه وهو يبتدع حركة المعادة البصرية فى نسق ثلاثى يكشف عن ولعه الأسلوبى بالتنضيد الوصفى فى مجموعات ثنائية أولا مثل رائعة بارعة ، وثلاثية ثانيا مثل رواء ونضرة وحسن تنسيق ، ومثل الجامدة الهامدة ومن بعدها " لا تحس ولا تشعر ولا تعرب " . وبهذا ينتظم إيقاع الجمل عبر مساحات وصفية متوازية ، يقوم لامتداد الخطى للمجموعة الثانية فيها بدور البؤرة المنبورة للإيقاع المرصود .

٥ - ١ وإلى جانب هذا النظام الهندسى المحكم فى شعرية اللغة الوصفية يمكن لنا أن نشير إلى مظهرين يتصلان بحساسية الكلمات عنده ، أحدهما فى تجاورها والآخر فى تبادلها ، وكلاهما يرتبط بمالها من طاقة إيحائية وتعبيرية فعندما نقرأ له مثلا " فتراجع